الاستقلال له حساب



مدارج

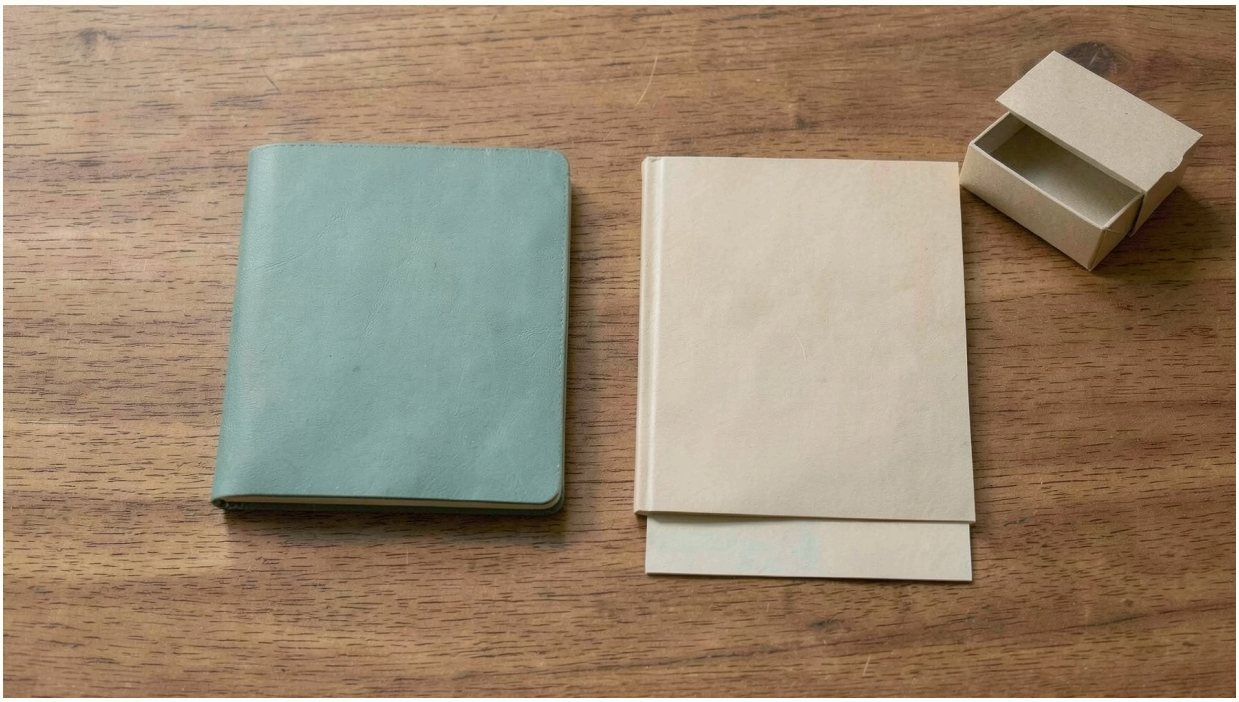


جلس عمر، الشاب الذي يبلغ من العمر سبعة عشر عاما، يراجع أوراقه بحذر. كان قد بدأ للتو في كسب خمسمائة ريال شهريا من عمله الجزئي بعد الدراسة، وهو شعور بالاستقلال لم يعهده من قبل. نظر إلى المبلغ المتبقي في محفظته، فكان مئة وعشرين ريالا فقط. تنهد بعمق وهو يقرأ الوعد الذي قطعه على نفسه أمام أخيه الصغير حسن، ذي الاثني عشر عاما: "سأشتري لك أدوات الأشغال اليدوية للمدرسة".

كانت الفرحة بالمال الجديد قد دفعته لقرارات متسرعة. لقد اشترى حذاء رياضيا جديدا بـ مئة وخمسين ريالا، واقتنى لعبة إلكترونية لم يفتح علبتها بـ مئتي ريال، بالإضافة إلى رصيد هاتف بقيمة ثلاثين ريالا. كانت هذه المشتريات تستهويه، لكنها أفرغت محفظته بسرعة أكبر مما توقع. الآن، وهو يرى المئة وعشرين ريالا المتبقية، أدرك أن حساباته لم تكن دقيقة على الإطلاق.

تفاقمت المشكلة عندما تذكر التزاماته الأخرى. كان عليه توفير مئة وعشرين ريالا لتكاليف المواصلات الشهرية، بالإضافة إلى الخمسين ريالا التي وعد بها حسن. المجموع المطلوب كان مئة وسبعين ريالا، بينما لم يتبق معه سوى مئة وعشرين. وقف عمر أمام ورقة حساباته،

يشعر بضغط المسؤولية لأول مرة، حيث وجد نفسه في مأزق مالي حقيقي بسبب اندفاعه في الإنفاق.

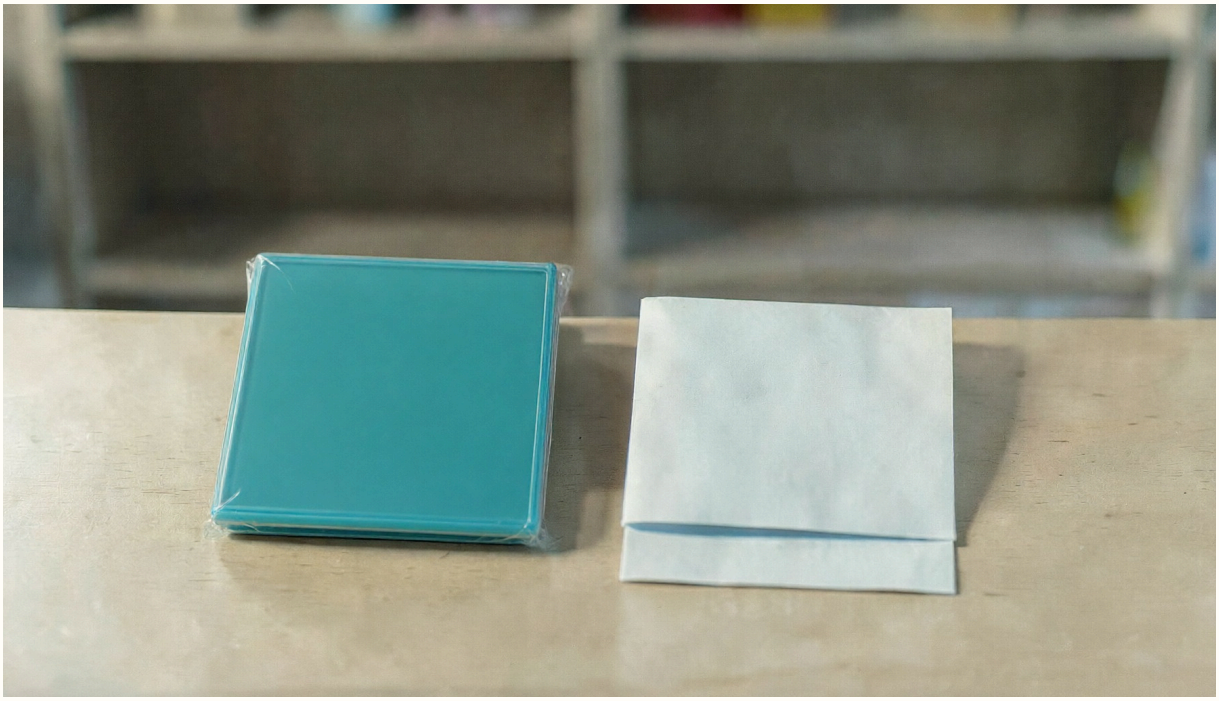


بسط الفواتير بجوار المحفظة، وكتب على ورقة صغيرة: خمسمائة. ثم نقل إليها أثمان مشترياته واحدا واحدا، بدل أن يعتمد على الذاكرة. كان كل إيصال يعيد إليه لحظة اختار فيها الشراء سريعا. أما الورقة التي تحمل وعده لحسن فبقيت إلى جوار الأرقام، ولم يستطع أن يطويها كأنها لا تخصه.

سأل حسن، ذو الاثني عشر عاما، أخاه الأكبر عمر عن أدوات الأشغال اليدوية التي يحتاجها للمدرسة. كان عمر يحدق في محفظته المليئة بالمشاكل، حيث كان عليه توفير مائة وعشرين ريالا للنقل وخمسين ريالا أخرى للوفاء بوعده لأخيه. شعر بالحرج الشديد عندما أدرك أن المبلغ المتبقي لا يكفي لتغطية هذه الالتزامات الأساسية. حاول إخفاء نقص الخمسين ريالا عن والده علي، لكنه فشل في كتم الحقيقة أمامه.

دخل عمر غرفة والده علي، البالغ خمسة وأربعين عاما، وأخبره بصراحة عن الوضع المالي الصعب الذي يواجهه. طلب منه والده أن يضع جميع الفواتير والطلبات التي قام بها على الطاولة لترتيبها. لم يقدم له أي مال إضافي بل شجعه على مراجعة حساباته بدقة. كان علي يريد تعليم ابنه كيف يبدأ بنفسه وكيف يلاحظ أخطائه قبل أن تظهر.

بدأ عمر في ترتيب الأوراق أمام والده، بينما نظر حسن بانتظار الحل لمشكلة أدواته. تعلم عمر أن المال لا يمنح الرشاد تلقائيا بل يكشف ما تدرب عليه من صدق واختيار. كان علي يشرح له كيفية الموازنة بين الحاجات والرغبات الحالية والتزامات مستقبلية.

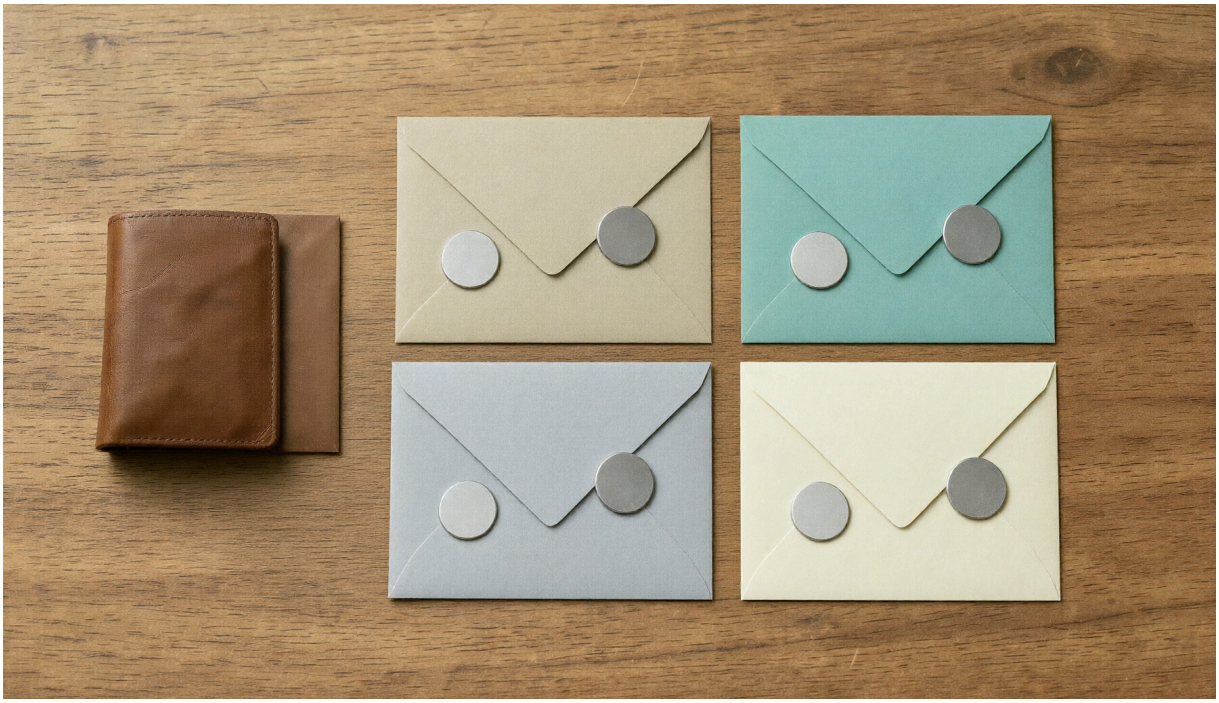


أعاد الأب السؤال حين أسرع عمر في جمع الأوراق: أي مبلغ دفعته فعلا، وأي مبلغ ما زال مطلوبا منك؟ فصل عمر الفواتير المدفوعة عن الالتزامات، وترك بينهما مساحة في الورقة. كاد يسأل والده أن يتولى الحساب كله، ثم أمسك القلم بنفسه. قال إنه يحتاج إلى من يراجع معه الخطوات، لا إلى من يخفي عنه النتيجة. وضع إيصال اللعبة أمامه وبدأ يقرأه بهدوء.

وقف عمر أمام المحفظة التي تحتوي على مئة وعشرين ريالا فقط، بينما كانت متطلباته تتجاوز هذا المبلغ. كان عليه توفير مئة وعشرين ريالا لنقله الشهري، بالإضافة إلى الخمسين ريالا التي وعد بها حسن لأدوات الأشغال اليدوية. مجموع الالتزامات كان مئة وسبعين ريالا، وهو مبلغ لا يتوفر في محفظته الحالية. شعر بالقلق من أن هذا النقص قد يعطل خططه ويؤثر على وعوده لأخيه الصغير.

قرر عمر الذهاب إلى المتجر الذي اشترى منه اللعبة الإلكترونية غير المفتوحة لمناقشة إمكانية استرجاع المبلغ. لم يكن يعرف هل يقبل هذا المتجر إعادة اللعبة، فأراد أن يسأل بدل أن يفترض نتيجة مضمونة. دخل المتجر وتحدث مع الموظف حول شراءه للعبة التي لم يفتحها بعد، وطلب معرفة سياسة الاسترجاع الخاصة بهذا المنتج المحدد.

أكد الموظف له أن اللعبة غير المفتوحة قابلة للاسترجاع وفقا لسياسة المتجر، بشرط تقديم الإيصال الأصلي. شعر عمر بالراحة من هذه المعلومة، لكنه أدرك أن استرجاع المبلغ سيأخذ بعض الوقت ولن يكون متاحا فورا. قرر أن يعود في اليوم التالي بالعلبة المغلقة والإيصال لإتمام الرد، مما يعني أنه سيقضي المساء دون لعبها كما كان يتوقع.



في طريق العودة أمسك الإيصال جيدا، لم يرد أن يضيع ما يحتاجه لإتمام الخطوة التي اختارها. كان يستطيع أن يفتح العلبة حين يصل، لكن ذلك سيغير القرار كله. وضعها بعيدا، ثم كتب لصاحبه يعتذر عن أمسية اللعب. لم يكن الاعتذار سهلا؛ احتاج إلى الاعتراف بأنه اشترى قبل أن يحسب، وأن عليه الآن أن يؤجل ما كان ينتظره.

عاد عمر إلى المتجر حاملا العلبة المغلقة والإيصال الأصلي. انتظر حتى فحص الموظف الشراء وحالة العلبة، ثم استلم منه مئتي ريال وما يثبت إتمام الرد. عد المبلغ وحفظ إيصال الاسترداد قبل مغادرة المتجر. لم يعد الاسترداد وعدا ينتظره؛ صار مالا عاد إليه فعلا. كان التخلي عن اللعبة مخيبا لأمله، لكنه احتاج إلى هذا القرار كي يصلح ما فعله دون أن يطلب مالا جديدا.

في البيت أضاف المئتين المستردتين إلى المئة والعشرين الباقية في محفظته، فصار المجموع ثلاثمئة وعشرين ريالا. حجز مئة وعشرين للنقل وخمسين للوفاء بوعده لحسن، فبقي مئة وخمسون. خصص منها مئة للادخار وخمسين للرغبات. أعاد الجمع: مئة وعشرون وخمسون ومئة وخمسون، فبلغ ثلاثمئة وعشرين بالضبط. لم يعامل الاسترداد كدخل جديد؛ الحذاء ورصيد الهاتف بقيا مصروفين سابقين، ولم يضفهما إلى المتاح.

بعد ترتيب حساباته، قام عمر بتحويل خمسين ريالا إلى حسن في ظرف صغير، مع شرح بسيط لأخيه عن أهمية الوفاء بالوعود. احتفظ بمائة ريال كاحتياطي للتوفير، وخمسين ريالا كميزانية ترفيهية بسيطة. شعر الأب علي بالفخر عندما علم أن ابنه تعلم كيفية إدارة المال بحكمة، وأنه لم يطلب المساعدة في اتخاذ القرار بل طلبها فقط لتنفيذ الخطوات الصحيحة.



أخرج حسن قائمته وبدأ يتحدث عن الأدوات التي سيختارانها للمشروع. استمع عمر بدل أن يحول الموقف إلى درس لأخيه، كان هو الذي يحتاج إلى الوفاء بوعده. وبعد أن انصرف حسن، وضع عمر علامة أمام المبلغ المدفوع. مر أبوه فسأله إن كان يريد مراجعة الجمع، فعرض عليه الورقة وهو يحتفظ بالقلم في يده.

في الأسبوع التالي، وقف عمر أمام دفتره الصغير وهو يسجل كل ريال ينفقه بدقة متناهية. كان يشعر بفرحة جديدة تختلف عن فرحة المال الجديد، فهي فرحة التحكم في النفس والوقت. مر صديق له بهاتفه المحمول وطلب شراء لعبة إلكترونية بأسعار مخفضة، لكن عمر تذكر أن مال النقل محجوز، وأنه وفى بوعده لحسن بالفعل. قال الصديق إن التخفيض سينتهي

قريبا، فاختار عمر أن يرفضها ويحافظ على ميزانيته. تذكر الحذاء الجديد الذي اشتراه بالفعل، فلم يرد أن يبدأ قائمة مشتريات أخرى قبل مراجعة المتاح. عاد إلى المنزل وكتب في دفتره: "أراجع المتاح قبل أن أقرر الشراء".

بينما كان عمر يسجل نفقاته، لاحظ والده علي ابتسامته الخفيفة من بعيد دون التدخل المباشر. كان الأب يعلم أن ابنه يحتاج إلى تجربة تحمل المسؤولية بنفسه. وقف عمر أمام نافذة غرفته وهو يفكر في كيفية تحسين وضعه المالي مستقبلا. فكر في كتاب يريد قراءته، ثم سجل ثمنه ليقارنه بخانة الرغبات بدل أن يسحب من المدخرات تلقائيا. هذا القرار لم يكن سهلا، لكنه كان خطوة نحو النضج.



في نهاية الأسبوع، وجد عمر أن بعض المال المخصص للرغبات لم يصرف، فتركه دون أن يعده دخلا جديدا. شعر بالفخر عندما رأى أن ما سجله يطابق المال الموجود معه. جلس مع حسن ليرى أدوات المشروع التي اشتریاها بالمبلغ المدفوع له. كان الوفاء بالوعود هو الهدف الحقيقي الذي يسعى لتحقيقه. لم يعد عمر ينفق المال بعشوائية، بل أصبح يفكر في المستقبل قبل الحاضر.

قبل موعد دخله التالي بيوم، فتح عمر دفتره دون أن يطلب منه أحد ذلك. لم تكن الصفحة خالية من الشطب، وجد عند أحد المصروفات رقما كتبه مرتين، فراجعه على الإيصال وصححه. كان الفرق هذه المرة أنه لم يخف الخطأ ولم ينتظر من والده أن يكتشفه. أخرج ما بقي معه وقارنه بما سجل، ثم كتب الالتزامات التي يعرفها للشهر المقبل، تاركا مساحة لما يحتاج إلى السؤال عنه قبل أن يعد أحدا بشيء جديد.

دخل حسن يحمل قطعة من المشروع الذي عملا عليه معا. وضعها على الطاولة وسأل متى يكملانها. أغلق عمر الدفتر بعد أن علم الصفحة، واتفقا على وقت يناسب دراسته وعمله. لم يحتج أخوه إلى سماع وعد كبير آخر، كان يحتاج إلى موعد يستطيع عمر الوفاء به. وحين مر علي، سأله عمر عن مصروف لم يفهم كيف يسجله، ثم عاد إلى الحساب بنفسه. لم يصبح يعرف كل شيء، لكنه صار يعرف متى يتوقف ليسأل، ومتى يستطيع أن يكمل وحده.

في آخر الدفتر جرب عمر ميزانية تعليمية لشهره الأول. كتب دخلا افتراضيا مقداره خمسمائة ريال، وقابله بحذاء بمئة وخمسين، ورصيد هاتف بثلاثين، ونقل بمئة وعشرين، ووعد لحسن بخمسين، وادخار بمئة، ورغبات بخمسين. جمع الخانات فوجدها خمسمائة. أما اللعبة المعادة فلم يعدها مصروفا باقيا بعد استرداد ثمنها. ولتجربة الفكرة، يمكن إعداد ورقة بمبلغ خيالي مختلف، وفصل الالتزامات عن الرغبات، ثم جمع الخانات ومراجعة المتبقي. لا حاجة إلى كتابة دخل الأسرة أو بياناتها الخاصة، المطلوب تدريب الاختيار والحساب، لا تقديم توصيات استثمارية.